مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (31) العدد (1) 2009
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (31) No. (1) 2009

العمارة السكنية المعاصرة في الساحل السوري
/ نحو عمارة محلية واعية / (مدينة اللاذقية أنموذجاً)

الدكتور طالب ديوب*
هلا حسين**

(تاريخ الإيداع 15 / 9 / 2008. قُبِل للنشر في 2009/2/8)

□ الملخّص □

إن العمارة المعاصرة وما ينتج عنها من نظريات حديثة و مفاهيم جديدة خلقت شكلاً من أشكال النزاع مع كل ما هو قديم و موروث إضافة إلى ضعف الارتباط الحقيقي بالبيئة الطبيعية.

اختير الساحل السوري بوصفه مكاناً جغرافياً للدراسة في زمان نحنّ فيه إلى التاريخ، وكانت مدينة اللاذقية هي المثال الذي ستجرا عليه الدراسات ضمن نطاق البحث الجاد والفكر المنفتح على كل ما هو جديد في عالم العمارة و تطويعه لخلق عمارةٍ مفعمةٍ بروح التراث ومستجيبةٍ لنداء الطبيعة، و هذا ما نقصد به العمارة الواعية التي هي شكل جديد يبدو أكثر ذكاء في التعامل مع معطيات العصر الحديث من خلال وعيها في التعامل مع الإنسان الذي صنعت العمارة لأجله، مع الإرث الفكري والثقافي والمعماري ، ومع الطبيعة المحيطة بالإنسان.

الكلمات المفتاحية : العمارة الواعية – الأصالة – المعاصرة – العمارة الخضراء– البيئة – الطبيعة .

* أستاذ – قسم التصميم المعماري– كلية الهندسة المعمارية – جامعة البعث—سورية.
**طالبة دراسات عليا (ماجستير) – قسم التصميم المعماري – كلية الهندسة المعمارية – جامعة البعث – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (31) العدد (1) 2009
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (31) No. (1) 2009

Contemporary Residential Architecture in the Syrian Coast /Towards A Local Gentle Architecture/ (Example: Latakia)

Dr. Taleb Daiob[*]
Hala Hussien[**]

(Received 15 / 9 / 2008. Accepted 8 / 2 / 2009)

□ ABSTRACT □

Contemporary architecture, and its emerging modern theories and concepts, has brought about some sorts of conflict with everything old and inherited, and weakened the link with natural environment

The Syrian coast has been selected as a geographical location at a time during which we experience historical nostalgia. The city of Latakia was, moreover, the considered case, within the framework of sensible research and thought open to everything new in the world of architecture, which can be adapted to devise an architectural style, colored with classical taste, and responsive to the appeal of nature. In our view, this is the indication of Gentle Architecture, which is a new architectural style, seemingly more intelligent in dealing with the requirements of the modern age, through its sensibility in dealing with altogether the human being for whom architecture was invented, the intellectual, cultural and architectural heritage and the human being's surrounding environment.

Keywords: Gentle architecture, originality, modernism, green architecture, environment, nature.

[*]**Professor, Department of Architectural Design, Baath University, Syria.**
**** Postgraduate Student, Department of Architectural Design , Baath University, Syria .**

مقدمة :

يعد السكن المطلب الأساسي للإنسان، و هو حاجة ضرورية و ملحة ، كما يعدّ من مقومات الشعور بالانتماء، فمن لا مسكن له لا وطن له .

إن مشكلات السكن المعاصر في سوريا كثيرة تبدأ من تأمين الوحدات السكنية إلى تحسين السكن وملاءمته من حيث التصميم و الموقع و كافة النواحي الاجتماعية و الإنسانية و البيئية ....

إن غياب الملاءمة بين السكن المعاصر و طبيعة مدن الساحل السوري أدى بالنتيجة إلى عمارة ساحلية تفتقر هويتها المتوسطية التي اشتهرت بها على مر العصور .

ومن أجل تحقيق الأهداف المرجوة فيما يخص موضوع السكن الذي يعيش فيه الإنسان و يمارس فيه جزءا" كبيرا" من نشاطه، لا بد من إنتاج سياسة معمارية شاملة واعية و مدروسة للارتقاء بالسكن المعاصر إلى مصاف الكمال مع مراعاة الحفاظ على الإرث المعماري و الفكري من جهة ، و مواكبة الاتجاهات الحديثة للعمارة و معايشة الحياة العصرية من جهة أخرى .

هدف البحث و أهميته :

يهدف البحث إلى رصد واقع السكن المعاصر في الساحل السوري (مدينة اللاذقية مثالا")، و الوقوف عند ميزاته الإيجابية، و رصد سلبياته التي يعاني منها القاطنون في ظل التطور المعماري السريع، ودراسة إمكانية الوصول إلى حلول معمارية سكنية مثلى تستند إلى فكر معماري جديد يحقق الملاءمة لكافة الظروف و الشروط المحلية ، كما يحقق نوعا" من التفاعل بين ما يحدث من تقدم في المجالات المختلفة و بين العادات و التقاليد و القيم الاجتماعية و الثقافية بحيث تصبح العمارة محددة المعالم و مقروءة الهوية.

طرائق البحث و مواده :

يعتمد البحث على الدراسة النظرية و التحليلية لواقع السكن المعاصر في الساحل السوري (مثال مدينة اللاذقية)، مع تزويد البحث ببعض الأمثلة و النماذج التي تدعمه.

النتائج و المناقشة :

إن بعض المفاهيم يجب أن تكون واضحة حتى تشكل الانطلاقةَ الأولى للبحث، و الأساس الذي تبنى عليه الدراسة وأهمها :

–المعاصرة Modernism : ترتبط المعاصرة بمفهومها العام بالزمن، فهي عمارة الوقت الحالي، التي يرغب بعض الباحثين في تسميتها بالحداثة، و هي اتجاه معماري جديد لابتكار مفهوم جديد للعمارة يقوم على فهم مظاهر الحياة المعاصرة والتزامها وهي التي تطورت بسرعة، مناهضة الطبيعة و معارضة التقليد و القديم .

– الأصالة Originality : هي الفعالية الإبداعية القادمة من التاريخ و المفعمة بروح التراث، و هي لا تنفصل عن الإبداع، وليست نقلاً للتراث و لا عملية انتقائية من الماضي، بل هي إبداع يمثل روح التراث (فهي تسير باتجاه الجذور و الأصول و الهوية) (1).

ولكن ما يحدث في الوقت الحالي أن المعاصرة لا تتحقق بتفاعل حداثة مع حداثة أخرى، و إنما بتفاعل مع حداثة الغرب التي تجلت في المدارس المعروفة الكلاسيكية و الانطباعية و الوحشية و التجريدية و غيرها ..

وفي مثل هذه الحال لا يمكننا أن نتحدث عن المعاصرة قبل أن يتحقق الاستقلال عن النفوذ الغربي المسيطر، و تحقيق الهوية Identity ، و التشبث بالشخصية العربية التي تعتمد على دراسة ووعي و إبداع.

فعملية التلازم بين الأصالة و الحداثة لا تتحقق إلا بالإبداع .

ولا ننكر أن المعماري العربي أمام امتحان صعب؛ إذ يجب عليه أن يكون أصيلا"، و أن يكون مبدعا" و معاصرا"، و أن يكون فاعلا" في واقعه وواعيا" لذاته الثقافية و مساهما" في توضيح معالم تراثه .

إن الإنسان هو الهدف في فن العمارة، فهي من صنعه، و يجب أن تكون لأجله، و لكن العمارة التي نعيش فيها الآن صنعت من أجل ظروف و حالات غريبة.

وفي هذا السياق يمكننا أن نؤكد على أن العمارة العربية التقليدية اتخذت من الإنسان مقياسا" لها فكانت على مقاسه وذوقه، بينما انفصلت العمارة الحديثة عن المقياس الإنساني العربي لكي تصبح تجريدا" بلا هوية ولا انتماء، ولكي تصبح عمارة من أجل فن العمارة و ليس من أجل الإنسان العربي ، و لهذا نشعر بالغربة و نحن نعيش قسرا" في تلك العلب الإسمنتية المفتوحة على الضوضاء و التلوث و تقلبات المناخ ، هذه العمارة التي فرضت نفسها لخدمة جمال العمارة و جمال الشارع العريض المكرس للسيارات و الحافلات العامة تنفث سمومها؛ لتصل مباشرة إلى رئة ذلك الإنسان المحاصر في بيته المغلق .

لقد سد البيت الحديث حاجة إنسانية، و خفف من الأزمة التي عمت المدن العربية، و لكنه لم يستطع في الواقع تأمين الحاجات الروحية لساكنيه، و لم يستطع أن يحافظ على التقاليد الاجتماعية السائدة، بل غير مبادئ العمارة تغييرا" جذريا" و عرّض الحياة إلى أضرار الشارع .

من المؤسف أن جميع المدن العربية تعاني من أزمة استيراد الأنماط المعمارية الغربية ، إضافة إلى أن التقليد غير المدروس لكل ما يشابه النمط المعماري الحديث، والتشويه البصري لواجهات المباني، و ألوانها في الميادين و الشوارع والحدائق أدى إلى بروز أنماط سلبية في المجتمعات مثل اللامبالاة و القلق و التوتر العصبي و اللاوعي مما يسبب خسارة للقوى الفاعلة في حضارة المجتمع .

للعمارة تأثير كبير في نفوس الناس و أذواقهم و طباعهم، فجمالية المبنى تأتي من حسن التصميم و صدقه وأمانته، والمعماري الناجح هو الذي يستطيع توظيف العلم و الهندسة في خدمة إبداعه من أجل رفع الحس الجمالي للمكان والإنسان ، فبعض النماذج المعمارية تبدو جيدة و مكلفة و غريبة لكنها لا تمنحك ذلك السرور الذي يبعث فيك الراحة النفسية بل تشعرك بالانقباض ، بالإضافة إلى عدم انسجامها مع البيئة المحيطة الطبيعية أو حتى الاجتماعية .

على المصممين أن يحرصوا على تنفيذ عمارة أكثر ارتباطا" بالمناخ و العادات و الإنسان العربي في ظروف عصره الجديد، هذا يؤكد فكرة مهمة و أساسية في البحث هي أن على التصميم أن يكون مستقبلياً أو طويل الأمد (خالد) .

إن التراث المعماري القديم الذي لا يزال قائما" أمامنا رغم طغيان الحداثة و الغزو الثقافي الأجنبي هو الهوية القومية التي يجب الحفاظ عليها ، و في الوقت ذاته فإن تكرار النموذج و التراث العربي المعماري لا يغني الهوية؛ إذ يجب علينا أن نسعى لخلق حالة من التوازن لا لتكون النماذج مكررة و مملة، لتكون حديثة.

نحن نسعى لنعيش لحظات مع التراث، و لكن علينا أن نتطلع في الوقت نفسه لأن نعيش لحظات سعيدة مع المستقبل.

إن دراسة عناصر العمارة التراثية خطوة مهمّة لأي عمارة للاستفادة من خبرات الماضي لحل بعض مشكلات المباني المعاصرة، و لكن هذا الاستلهام يكون أحيانا" خاطئا" بحيث يتم نقل العنصر التراثي بشكل مباشر كما هو بغض النظر عن وظيفة المبنى، و طبيعة الفراغ الداخلي، و العلاقات و من جهة أخرى علينا أن نفهم التراث على أنه عملية جدية و ليست عاطفية، فهو عبارة عن دراسة علمية تتبع ظروف الحرارة و الضوء و غيرها من المعطيات البيئية، و هذا ما يجعل لدينا أنماطاً معمارية مختلفة بحسب طبيعة كل منطقة و ظروفها البيئية .

ما هو المسكن ؟

المسكن هو المكان الذي يضم الفرد والأسرة، وهو نواة الاستقرار بمعناه الشامل الذي هو شرط أساسي للعطاء الإنساني ببعديه الحسي والفكري، من هنا تكمن أهمية المسكن وقيمته للفرد والمجتمع. وليس السكن الحقيقي منشأة في فراغ اجتماعي فحسب ، بل هو خلية عمرانية اجتماعية ، يحقق أهدافاً ثلاثة غير هدف السكن – شكل1– هي " اللقاء" مع الآخرين، " والتوافق " بينهم، وتحقيق التفرد " والسكينة"

1– وظيفة المسكن :

نستطيع القول: إنّ وظيفة المسكن هي إيواءُ شخصٍ أو أشخاص بمستوى جيد، إيواءً يقتضي تحقيق الوظيفة الأساسية بوصفه مسكناً، وهي وظيفة مشتركة بين الناس وعبر المكان والزمان.

و لكن يتحدث كريستيان نوربوغ شولتز SCHULZ عن وظائف إنسانية أساسية هي الاتجاه، والهوية، والذاكرة، ويتضمن " الاتجاه " تنظيم الحيز وأنماط الحركة فيه،أما " الهوية " فهي تعني اختيار الطابع والشكل المعماري المنسجم مع البيئة والإنسان.. والمقصود " بالذاكرة "، الذاكرة التاريخية، والقومية التي تحدد الهوية المعمارية؛ هذه الهوية التي لا يمكن التفريط بها؛ لأنها تعدُّ أثراً فنياً و إبداعياً. هذه الوظائف التي أسماها شولتز SCHULZ بالإنسانية تعبر برأيي عن الاحتياجات الأساسية لكل شخص يرغب في الشعور بالانتماء إلى مسكنه .

والهوية لا يقصد بها بالشكل العام تشابه المدن جميعها ضمن البلد نفسه، بل على كل مدينة أن تنفرد بخصائص وسمات تميزها عن غيرها وفقا" للظروف البيئية و الاجتماعية و غيرها، و لكن المهم أن تكون هناك سمات عامة مشتركة توحد هذه المدن على المستوى الوطني، و ليس على مستوى التفاصيل، مما يجعل موضوع الهوية أكثر حيوية ذلك أنه من المعروف أن الهوية تتشكل من خلال المتشابهات ليس فقط في الصورة البصرية بل من ناحية السلوك المعماري أيضا"، و هذا ما يسمى التنوع من خلال الوحدة.

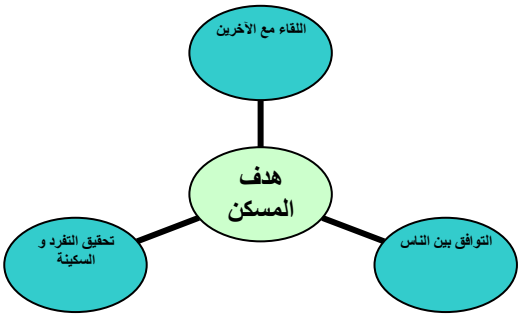

الشكل رقم (1) مخطط تحليلي للأهداف الإنسانية للمسكن

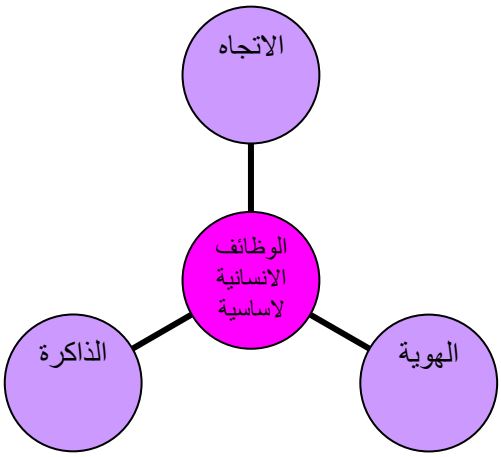

الشكل رقم (2) مخطط تحليلي للوظائف الإنسانية الأساسية

2- الأبعاد الأساسية للمسكن ؟

يتحدث شولتز عن أبعاد وظائفية للغة العمارة، هي البعد المكـــاني TOPOLOGY، والبعـــد التكـــويني أو التركيب الشكلي MORPHOLOGY، والبعد التطبيقي الذي يحدد النوعية التشخيصية TIPOLOGY.

إن ما يسمى " النموذج الأصلي" ARCHETYPE يعني وجود أشكال معمارية أساسية ذات مصطلحات و تسميات تميزها. وإذا تركنا العناصر المجردة الثابتة مثل (جدار، وأرض، وسطح)، فإن ثمة مصطلحات تخص العناصر التكوينية (المورفولوجية) مثل (كرة ومكعب وأسطوانة ومخروط وهرم ...)، وهي مصطلحات تشكيلية مجردة. أما المصطلحات التي تخص الوظيفة (بيت ، معبد)، أو تخص النماذج الأصلية ARCHETYPE، فإنها ليست شكلاً واحداً، بل تتجلى مختلفة باختلاف المكان والزمان، وهذا ما يسمى بالملامح المعمارية التي تحددها الحياة الراهنة والذاكرة التاريخية. ولغة العمارة هي لغة الذاكرة كما يقول هيدغر ، ولكن لغة العمارة وهي واسطة تتحقق فيها العمارة، وهي متجذرة في العالم وليست لغة مبتكرة .

3- تحليل العلاقة بين المسكن و الأسرة :

أشار المعماري الهولندي (جون هابراكن) Joun Hapragn إلى وجود ثلاث علاقات فردية وثلاث أخرى جماعية لما سماها العلاقات الطبيعية التي تمثل علاقة الناس التفاعلية من أفراد وجماعات ببيئتهم العمرانية المشيدة، وأوضح (هابراكن) أن الإنسان في العلاقة الأولى كان يقوم ببناء مسكنه بيديه بالطرق البدائية البسيطة من دون الاستعانة بالآخرين، أما في العلاقة الثانية فأصبح يستعين بالحرفيين كالبناءين والنجارين والحدادين في بناء مسكنه وبقيت جميع القرارات الأساسية في البناء لصاحب المسكن، أما العلاقة الثالثة والتي سماها (العلاقة الواعية)- شكل2- فقد دخل فيها المهندس المعماري بوصفه طرفاً ثالثاً وسيطاً بين صاحب المسكن والحرفيين، وسماها العلاقة الواعية ؛ لأنّ القرارات في هذه الحالة قرارات جماعية (3).

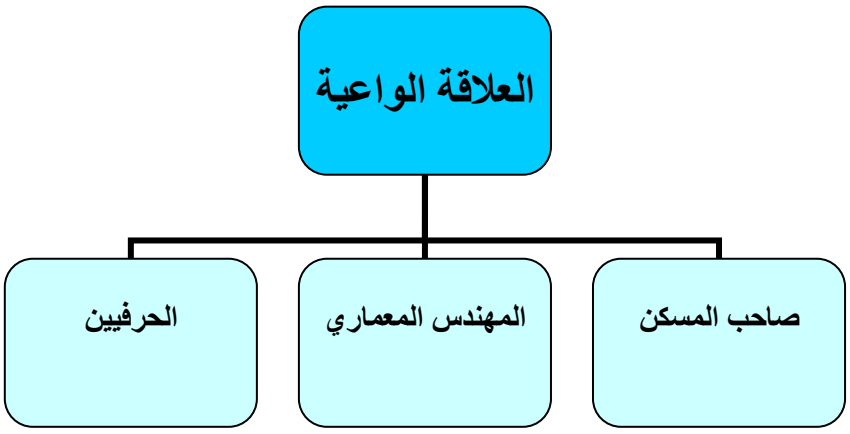

الشكل رقم (3) تحليل العلاقة بين المسكن و الأسرة

- بالنظر إلى ما أشار إليه المعماري (هابراكن) من علاقات فقد اختفت جميع هذه الطرق في عمارة مسكن اليوم، واختفى معها الحرفيون التقليديون، وحلت بديلاً عنها وسيلة جديدة أوجدت انفصاماً حاداً بين السكان المنتفعين بالعمارة والمهندسين المعماريين، مع الأسف الشديد فلم يعد هناك دور فعلي للناس في تصميم مساكنهم أو تقرير أشكالها وعناصرها في هذا العصر باستثناء بعض القرارات البسيطة ، أيضا دخلت جهة ثالثة أصبحت تزاحم

المهندسين المعماريين في التفرد بالقرارات التصميمية ربما لم يفطن لها المعماري (هابراكن) وهي بعض الجهات المسؤولة التي أرادت أن تكون عوناً للساكنين فأصبحت عائقاً لهم من حيث لا تدري.

نلاحظ مما سبق أن التعامل مع السكن بوصفه مفهوماً لم يعد ينحصر في دائرة الوظيفة و المأوى و الحماية، وإنما تعداها ليلامس مكامن النفس البشرية المتعطشة للتعبير عن ذاتها، فصار الحديث عن السكن يؤدي للحديث عن الإنسانية والوجدان و العاطفة و المشاركة مع الآخرين و مع الطبيعة، و نضيف لكل هذه المعاني الجميلة وسائل الترفيه، والاستمتاع بالجو الداخلي للمسكن، و هذا ما توفره أساليب الراحة الحديثة التي وجدها التطور الحديث والتي عليها أن تكمل كل ما سبق من شروط، ليشعر الإنسان بالسعادة في مسكنه و هذه هي الغاية المرجوة .

العمارة و علاقتها بالبيئة المحيطة :

تعرف البيئة بأنها المحيط (أو المحيط الحيوي) الذي نعيش فيه، ويتكون من:

- المنظومة الإيكولوجية "Ecosphere"، وتشمل الغلاف الجوي والمائي واليابسة...الخ.
- المنظومة التقنية أو المبينة "Technosphere"، وتشمل المكونات المادية التي أوجدها الإنسان من منتجات تكنولوجية وصناعية ومشاريع عمرانية ومعمارية وأنشطة اقتصادية.

المنظومة الاجتماعية وتتضمن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافي([4]).

- علم البيئة العمراني : يعني منظومة العلاقة المتبادلة بين الإنسان و الوسط المحيط في إطار المدينة أو التجمع السكني .

إن فن العمارة و توازن البيئة و المحيط هو التسجيل المرئي و الحي لصورة الحضارة و التقدم بأبعادها المختلفة ، و التصميم من خلال الطبيعة المحيطة مع تحقيق التوازن ما بين الماضي و الحاضر و التطلع للمستقبل هو الغاية المرجوة من البحث انطلاقا" من جوهر القضية و هو الإنسان .

ولتتحقق هذه الخطوة الإبداعية لا بد أن يقودها وعي فكري و ثقافي و معماري كبير فيه الكثير من المسؤولية تجاه البيئة و التصميم و التناغم ما بين الأصيل و المعاصر و هي مهمة شاقة على المعماري ، و هذا يستدعي درجة عالية من الوعي للمعماري و المجتمع معا" .

إن مراعاة ثقافة المجتمع و شخصيته المحلية و مفرداته و قيمه و توظيف التقنيات الحديثة في مجال التخطيط و التصميم والتنفيذ للبناء و العمران للمجتمع يمثلان إطارا" آخر للعمارة الخضراء ذات البيئة الطبيعية و المادية النظيفة والآمنة التي تتسم بالجودة العالية و التكيف مع تطورات السكن .

على المعماري أن يكون شاعرا" بالظروف الدائمة و المتغيرة لبيئته المحيطة الطبيعية و المشيدة و مدركاً لها، كما يجب عيه أن يكون واعيا" بمدى تحكم كل منهما بالآخر؛ لذلك عليه ألا يكون سببا" في الإخلال بالتوازن البيئي الطبيعي الذي يبعد الإنسان عن أرضه و تفاعله معها؛ لذلك كانت الطبيعة المحيطة عاملاً مهماً تجب مراعاته عند التصميم لإيجاد الرابط ما بين العمل المعماري و المحيط، و لتحقيق الانسجام بين العمل و النسيج البيئي المحيط وذلك من مفهوم المواءمة Appropriateness بين الشيء و المحيط .

وإذا أراد الإنسان الاهتمام ببيئته فإن عليه التدخل فيها بأقل ما يمكن للحفاظ عيها فالطبيعة لها متعتها الخاصة إذا ما تركت على أوضاعها و تمت حمايتها من الانتشار العشوائي للسكن و الفنادق و المرافق الأخرى التي ستبدو وقد فرضت عليها فرضا" .

العمارة الخضراء Green Architecture :

العمارة الخضراء هي تنمية مجتمعية تراعي عناصر الوظيفة و الجمال البصري و الحس الروحي في إطار الظروف البيئية للموقع والموضع؛ لتحقيق رفاهية معيشية و حضارية مناسبة لاحتياجات الانسان المعني بالتنمية وطموحاته. فهي تسعى لتحقيق التناغم بين احتياجات الإنسان و معطيات بيئته المحيطة، و ذلك من خلال محاور مترابطة تشمل كفاءة استخدام مواد البناء المتاحة في البيئة المحيطة و حسن توظيفها .

الفكر المباشر للعمارة الخضراء أتى من الشجر الأخضر، و دورة الحياة الطبيعية له، و أثره في الإنسان والبيئة معا" و دوره في إعادة تشغيل الهواء **Recycle** و تحويل ثاني أكسيد الكربون إلى أوكسجين نقي، هذا الفكر يستلزم أن تكون المباني مفيدة للإنسان و البيئة مثلها مثل الشجر [5] .

إن فن العمارة و توازن البيئة و المحيط هو التسجيل الحي و المرئي لصورة الحضارة و التقدم بأبعادها المختلفة .

للعمارة الخضراء دور أساسي في تحقيق تكوين عمراني مثالي أو أقرب إلى المثالية تتناغم فيه التكوينات المعمارية مع الطبيعة المحيطة بإيقاع حسي و جمالي بديع .

كما و للعمارة الخضراء أسس و مبادئ نستطيع تلخيصها بما يلي :

- احترام الهوية و الطابع المحلي، و استخدام أنماط و تشكيلات معمارية تتوافق مع مظاهر السطح و المناخ و حدود الموقع ، و تتواءم مع التجمعات العمرانية المجاورة، و ترتبط بعلاقات إيجابية للمرافق و الخدمات حيث تشكل العناصر و العوامل البيئية المحيطة الإطار والمحتوى العام للعمارة الخضراء.
- توفير العناصر الجمالية ليست من عوامل الترف المعيشي و لكنها من ضروريات استمرار الحياة بكفاءة و أمان و واحدة من عوامل الدفع النفسي للعمل بجدية .
- إن عملية تظليل المباني و المنشآت بالأشجار و النباتات تعمل على تخفيض درجات الحرارة في الداخل و الخارج و بكفاءة أعلى من التغطية باستخدام مواد صناعية ، فلقد تبين أن استخدام الأشجار و النباتات و الشجيرات المنسقة و المتسلقة يخفض كلفة تكييف الهواء وتبريده بمقدار 15–35 %، كما أن تظليل النوافذ و فتحات المنشآت بالنباتات و الشجيرات يوفر 10% من الكلفة المستخدمة في التبريد .
- إضافة إلى ما للأشجار و المسطحات الخضراء من تأثير نفسي و جمالي مميز في الإنسان، و تخفيض معدلات التلوث للمكان، و تنقية الهواء و جعل البيئة أكثر صحة و نظافة .
- توظيف الشواطئ و موارد المياه الطبيعية في تهيئة نسيج عمراني يصون التراث و الموروث التقليدي ويحقق الثلاثية العمرانية المتوازنة (الوظيفة و الجمال و تجانسها مع البيئة الاجتماعية و المكانية و الزمانية).
- التنسيق العام و تجميل الموقع و تجميله يمثل أحد أركان التطوير و التنمية العمرانية المتجانسة مثل دراسات الحدائق و الفراغات الخارجية و الداخلية و ممرات المشاة و أماكن الجلوس و أسس اختيار الأشجار الظليلة الملائمة للبيئة و نباتات الزينة ذات الألوان و الرائحة الزكية، و ذلك لتوجيه حركة المشاة وتشجيعهم لخلق جو مريح يبعث في النفس الطمأنينة و الراحة، إضافة إلى استغلال الأسطح المائية والنوافير بوصفها عنصراً بين الفراغات، و معالم بصرية مميزة Land Marks.
- إحداث توازن و تكامل بين العنصر البشري و بيئته المحيطة به ضمن متغيرات المكان و الزمان .

- التنسيق العام Landscape للفراغات و المساحات المفتوحة والكتل البنائية المكونة للنسيج العمراني، وتأكيد ملامح العمران المتاحة مثل البناء على الهضبات و السهول وعدم السعي إلى تسوية الأرض للتشييد والبناء عليها، وتحقيق شكل عام للعمران يؤكد ملامح البيئة المحيطة، ولا يتنافر معها سواء في الشكل أم المضمون .([6])
- استخدام الأحزمة الخضراء Green Buffer Zone حول العمران يعمل على توفير رئة طبيعية لتنقية الهواء و تقليل الضجيج، و يساعد على إضفاء الجمال الطبيعي (الشكل – اللون – الوظيفة) .
- أن تكون مواد البناء و التشييد من طبيعة البيئة المحيطة .
- تطبيق المعايير الخاصة بالتشجير و المسطحات الخضراء مثل اختيار النباتات و الأشجار الملائمة لظروف الموقع و استخدام نباتات دائمة الخضرة، و ألا تشكل خطراً على السلامة العامة (الطرق – الفراغات – الممرات)، وألا تتعارض مع مصابيح الإنارة، و ألا تزيد ارتفاعات النباتات الواقعة في مثلث خط الرؤية في تقاطعات الشوارع عن نصف متر فوق الأرض مع عزل المناطق المشجرة عن الطرق برصيف .

إن مراعاة ثقافة المجتمع و شخصيته المحلية و مفرداته و قيمه الرفيعة و توظيف التقنيات الحديثة في مجال التخطيط و التصميم تمثل إطاراً" آخر للعمارة الخضراء النظيفة و الآمنة و المتكيفة مع تطورات الزمان .

اللاذقية عبر التاريخ :

كانت اللاذقية منذ بدايات التاريخ بوصفها موقعاً مهماً على صدر البحر الأبيض المتوسط تحوي التسلسل المنطقي والعريض للنمو التراثي الثقافي و التاريخي والسياسي و الأثري، بحيث تنتسب إلى الحضارة الفينيقية الإغريقية وتحوي على أرضها التطور التاريخ، فهي تحوي أهم الأسماء الأثرية مثل راميتا و هو اسم اللاذقية في الألف الثاني قبل الميلاد، قد أطلقه عليها الكنعانيون ثم أعيدت تسميتها ب(زبد البحر)، و قد سماها اليونان باسم لوكيا أكتيه (الشاطىء الأبيض)، ثم بنى السلوقيون المدينة باسم لاديكيا، و من ثم سماها الرومان باسم لاوديكيا أدمار (أعلى البحار) تمييزا" لها؛ إذ كانت الوحيدة المبنية على الشاطئ.

على امتداد 173كم وعرض 12 كم بشكل وسطي، يتوضع الساحل السوري بين جبال لبنان الغربية شرقاً والبحر الأبيض المتوسط غرباً، وتقوم في هذا الساحل خلجان ورؤوس، رأس البسيط ورأس ابن هاني. خليج اللاذقية وخليج بانياس، ومع ذلك فهو قليل التعاريج وجزره قليلة، أكبرها جزيرة أرواد.

وتنتشر في الجبال الموازية للشاطئ مدن وقرى ومواقع تتمتع ببيئة جغرافية ممتازة ومشاهد خلابة، وعلى الشاطئ تقوم مدن هي اللاذقية وجبلة وبانياس وطرطوس، لها مرافئ لاستقبال السفن، تبلغ مساحة هذه المنطقة 4535كم2، وهي مأهولة بالسكان 1000ألف نسمة/كم2، والناس يتضاعفون في أيام الصيف وفي مواسم الاصطياف والسباحة، وتتصل هذه المنطقة بداخل سورية بعدد من الطرقات العامة منطلقة من المدن الأساسية.

تقع اللاذقية على خط عرض /34/، و خط طول /36/ شرقي غرينيتش، و طول شاطئها /110/ كم، و تبلغ مساحتها تقريبا" /2540/ كم ² يحدها من الشمال جبل الأقرع، و من الجنوب ضفاف نهر السن الشهير، و تمتد شرقا" حتى قمم الجبال الساحلية؛ لتطل منها على سهل الغاب في محافظة حماة و سهول المروج في محافظة إدلب، بينما تمتد أطرافها الغربية على شاطىء البحر المتوسط .

1- المناخ في مدينة اللاذقية :

يتميز مناخ اللاذقية باعتداله صيفا" و شتاء"، فمعدل حرارة البحر يبقى في الشتاء /22/ درجة مئوية في تشرين الثاني و /20/ درجة مئوية في كانون الأول، كما أن المتوسط الشهري لدرجة الحرارة على طول الشاطئ لا ينخفض عن /10/ درجات ، أما الرياح المسيطرة فهي رياح جنوبية غربية بالدرجة الأولى يليها رياح شمالية شرقية و تكون عادة جافة يرافقها سماء صافية و شمس ساطعة و نادرا" ما تنخفض درجة الحرارة إلى الصفر .

في الصيف يحافظ المناخ على طابعه المتميز، وعلى الرغم من ارتفاع درجة الحرارة فإن حياة البحر تسهم في ترطيب الجو و تتساوى درجات الحرارة في الليل و النهار على الساحل، ففي الليل تأتي الرياح من الداخل نحو البحر، و في النهار تلطف رياح البحر الجو من حرارة الشمس، و يزداد تبخر المياه بكثرة طوال فصل الصيف في شرق البحر و تندفع الأبخرة تحت تأثير الرياح الغربية؛ لتنتشر على طول شاطئ الحوض الشرقي و هي تتكاثف على الشاطئ حيث تقف في طريقها نحو سوريا الداخلية سلسلة من الجبال؛ و بذلك ترتفع الرطوبة في المنطقة .

و يعود مناخ اللاذقية المعتدل و الذي يتصف بالسمات السابقة للأسباب التالية :

- أثر البحر الأبيض المتوسط ؛ إذ يكون الضغط الجوي منخفضاً فوق البحر مما يسبب رياحاً غربية وجنوبية غربية تلطف الجو .
- سلسلة الجبال الغربية التي تشكل حاجزا" طبيعيا" يمنع وصول الأمطار إلى الداخل، و تمنع وصول الرياح الداخلية الباردة شتاء " و الحارة صيفا" إلى المنطقة الساحلية .

مما سبق نستنتج الصفات التالية للمناخ في اللاذقية :

- رياح جنوبية غربية في أغلب أشهر السنة، و رياح شمالية شرقية باردة في الشتاء و حارة في الصيف .
- يبلغ معدل الرطوبة شتاء" بين 60-70 % و صيفا" بين 70-85 % .
- تهطل عليها كميات كبيرة من الأمطار شتاء" .
- يتميز المناخ باعتدال درجة الحرارة صيفا" و شتاء" .

بناء على هذا يمكن أن يلبي المسكن متطلبات المناخ من خلال:

- تجميع المساكن بشكل ينفتح إلى اتجاه الرياح الجنوبية الغربية الملطفة للجو .
- تصميم المساكن بشكل يخفف من الرطوبة العالية .
- توضع الفتحات الداخلية بشكل يخلق تيارا" هوائيا" يلطف الجو في أيام الصيف الحارة .
- مساحة كبيرة نوعا" ما للنوافذ الخارجية للاتصال بالمحيط الخارجي الذي يتميز مناخيا" باعتدال درجة الحرارة صيفا" و شتاء" .
- تأمين الحماية من الأشعة الشمسية عن طريق الكاسرات الأفقية و الشاقولية .

2- المراحل التي مرت بها العمارة في الساحل السوري :

2-1- المرحلة الأولى : و هي المرحلة المتوسطية القديمة .

ومن أهم سمات هذه العمارة : (7)

_ إن الانسجام والتماسك هو أول ما يشد عين المشاهد للمدن التقليدية الواقعة على الساحل.

_ إن استخدام الطلاء الأبيض كان يطغى عليها بشكل كبير، وكانت البيوت تتميز بالبساطة ونقص الزخرفة، كما كانت تتألف من طابقين، وكانت تبنى على قطع مربعة من الأرض تحيط بها شوارع مستقيمة.

_ إن أهم سمة في القرى المتوسطية أنها كانت تتوضع قرب الأراضي الزراعية أو قرب البحر والأنهار.

_ بالنسبة إلى الشوارع فقد كانت ضيقة ومجموعات السكن كانت مشكلة بقوة وتماسك.

إن البيوت تتطابق بشكل عام إلا أنها تتغير من حيث وفرة التفصيلات مثل الزوايا المقطوعة والفسحات المضاءة مع تميزها بسمة عامة وهي الأقواس والنوافذ والعقود.

_ كانت المدن الفينيقية صغيرة الحجم؛ لذلك كان الطابع الغالب عليها ضيق الممرات والطرق وازدحامها بالمنازل إلى درجة تلاصق بعضها مع بعض.

_ الطابع الغالب على المنازل هو المنازل ذات الطابقين .

2-2- المرحلة الثانية : المرحلة المرتبطة بفترة الاحتلالين العثماني و الفرنسي .

في الفترة العثمانية كان التصميم الداخلي يعتمد على وجود فناء داخلي تحيط به مجموعة من الغرف تأخذ الإنارة و التهوية عبر فتحات على الفناء .أما الانفتاح نحو الخارج فكان ضعيفا" ولا وجود للشرفات ، أما الواجهات فكانت شبه مغلقة مع بعض العناصر التراثية كالأقواس و المشربيات .

أما في الفترة الفرنسية فقد كان العكس من حيث الفتحات التي انفتحت بشكل كبير على الخارج، ومن الناحية البصرية حققت العناصر المعمارية المستخدمة في هذه الفترة درجة عالية من الجمال سواء في الشرفات ذات الدرابزينات المعدنية المشغولة أم المزخرفة ، من الناحية البيئية كان هناك تأمين للتهوية و التشميس الجيد .

2-3- المرحلة الثالثة : المرحلة المعاصرة و هي على نوعين ، منها ما يبنى في مناطق التوسع، و منها في المناطق ا لقديمة .

و إن المرحلة التي تهمنا في هذه الدراسة هي المرحلة الأخيرة (المعاصرة) ، و أكثر ما يميز هذه المرحلة العلاقة الوظيفية الصحيحة في المسكن من حيث الفصل الكافي بين القسمين النهاري و الليلي و تحقيق الخصوصية للأفراد ، و لكن هذه العلاقة تنقصها الروح و الحياة الحقيقية لإغفالها الجوانب التي ذكرناها في القسم السابق .

أما نقطة الضعف الرئيسة فكانت عدم التوافق ما بين الحل الوظيفي و الحل البيئي بمعنى أن الحل الوظيفي جاء على حساب المعالجة البيئية، و سوف نوضح هذه المشكلات من خلال الأمثلة التطبيقية و مناقشة الحلول الممكنة .

دراسة نماذج سكنية معاصرة في مدينةاللاذقية :

1-1- متطلبات السكن المعاصر:

لا بد قبل البدء بدراسة السكن المعاصر من إلقاء الضوء على شروط تحققت في نماذج من المدينة القديمة التي عكست في مرحلة معينة طابع العمارة العربية .

تتم الدراسة على عدة مستويات تحدد مدى توافق النموذج المدروس مع متطلبات الدراسة وهذه المستويات

المستوى	الشروط الواجب توافرها في السكن على هذا المستوى
1- الاجتماعي	○ الاستقلال في عملية الدخول و الخروج من المنزل. ○ توفر حرية النشاط الإنساني داخل المنزل. ○ تحقيق الخصوصية عن طريق الفتحات الخارجية الصغيرة. ○ احترام العادات و التقاليد الاجتماعية الموروثة . ○ توافق التصميم مع الحالة الفكرية و الثقافية للمستخدم . ○ تحقيق اللقاء بالآخرين عن طريق تأمين فراغات خارجية و تراسات.
2- الوظيفي	○ وجود قسمين نهاري و ليلي و قسم خدمي. ○ تأمين العلاقات الداخلية في المسكن. ○ وجود شرفات تحقق الاتصال مع المحيط الخارجي ذي المناخ المعتدل و الطبيعة الجميلة. ○ إمكانية الاستفادة من تكنولوجيا البناء الحديثة بما ينسجم مع احتياجاتنا . تأمين الإضاءة و التهوية الطبيعيين والجيدين.
3- البيئي	○ تأمين تشميس جيد شتاء. ○ الحماية من الإشعاع الشمسي صيفا". ○ تأمين التهوية الصيفية. ○ الحماية من الرياح الشديدة. ○ معالجة الرطوبة بشكل مقبول . ○ استخدام مواد البناء المحلية .
4- الاقتصادي	○ تأمين فراغات معمارية سكنية ذات مساحة محددة تتناسب مع القوة الشرائية بشكل عام (المساحة المخصصة للفرد 16-24 م ² في السكن) . ○ انسجام بين حالة المسكن و الوضع الاقتصادي للقاطنين . ○ مواد إكساء تتناسب مع الحالة الاقتصادية .
5-الوجداني	○ أن يعكس المسكن أبعادا" إنسانية تتعلق بالانسان بحد ذاته و شروط راحته و انسجامه و مشاركة الآخرين له في قضاء أوقاته خارج المنزل و تحقيق السكينة و الهدوء و مراعاة التوافق بين الساكنين . ○ توفر بعض الملامح التراثية في الواجهات و التي تحقق حالة من الحميمية مطلوبة في السكن و تطويرها بما ينسجم مع الوقت الحاضر . ○ انسجام التصميم مع البيئة المحيطة.

6- البصري	○ وجود عناصر جمالية في الواجهات (الاستقادة من مفردات العمارة القديمة و توظيف ما ينفع منها للسكن الحديث). ○ استخدام مواد إكساء ملائمة و استخدام الألوان الفاتحة في الواجهات . ○ خلق حيز من الفراغ الداخلي المميز تراثيا" و جماليا" . ○ استخدام العناصر التزيينية للشرفات . ○ كسر الملل و الرتابة في خط السماء . ○ تجميع الأبنية بطريقة منظمة و موجهة تحقق انفتاحاً متزنا" على الفراغ . ○ تكامل البناء و تداخله مع الطبيعة المحيطة . ○ البساطة و البعد عن التعقيد في التصميم . توزع الفعاليات ضمن الفراغات بشكل مدروس و ترابط هذه الفراغات مع بعضها بعلاقات صحيحة.

1-2- المثال المدروس :

المثال المدروس هو أحد نماذج السكن الشبابي في مدينة اللاذقية، مشروع سكن الشباب هو مشـــروع قيـــد التنفذ حاليا" يقع على أوتوستراد الثورة .

و هو مكون من عدة نماذج A, A1, A2, B,C و هذه النماذج عبارة عن

- نموذج 3 شقق 5 طوابق و بمساحة 80 م² للشقة
- نموذج 4 شقق 5 طوابق و بمساحة 80 م² للشقة
- نموذج 4 شقق 5 طوابق و بمساحة 70 م² للشقة
- نموذج 4 شقق 5 طوابق و بمساحة 60 م² للشقة
- نموذج برجي4 شقق 10 طوابق و بمساحة 80 م² للشقة

يتخلل الموقع الحدائق و ممرات المشاة و مراكز لعب الأطفال و الخدمات المختلفـــة و مواقـــف الســـيارات المؤمنة

سندرس النموذجين A & A2 .

يمثل سكن الشباب حالة إيجابية من السكن الواعي الذي نطمح للوصول إليه؛ ذلك أنه يصل إلى مستوى جيد، ويحقّق المتطلبات الأساسية للسكن المعاصر الملائم و الإنساني و المندمج مع الطبيعة نوعاً ما .

الشكل رقم (4) الموقع العام للمشروع

1- النموذج **A** .

المسقط عبارة عن 4 شقق بمساحة 80 متر مربع للشقة الواحدة ، تضم كل شقة غرفتي نـــوم، بارتفـــاع 5 طوابق للنموذج الواحد ، يتوزع هذا النموذج في الموقع العام بحيث يحقق شروط التهوية و الإنارة الجيدة لمعظـــم الغرف ، و فيه ميزة كبيرة و هي التكامل ما بين القديم و الحديث في التصميم المعماري حيث إنّ الواجهات تعكس روح التراث و تضفي شيئاً من الحميمية على التكوين بشكل عام ، إضافة لتوفر أماكن اللقاء بـــالآخرين و إقامـــة علاقات اجتماعية مع الجوار بسبب طريقة تجميع هذه المباني بجوار بعضها بعضاً .

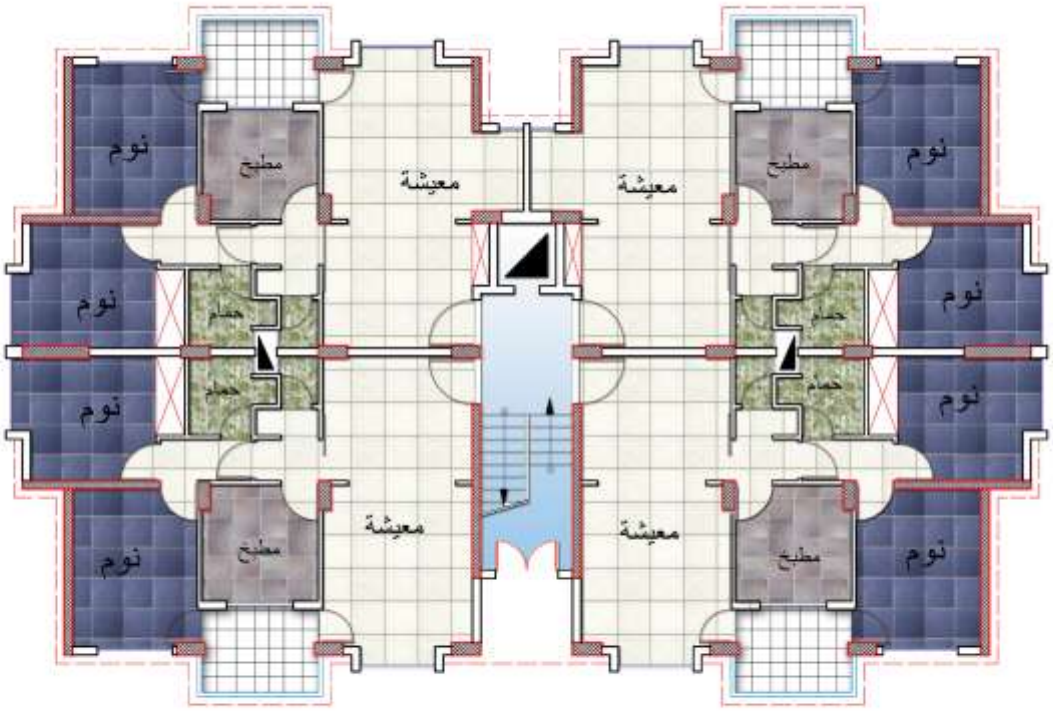

الشكل رقم (5) المسقط الأفقي للطابق الأرضي

الشكل رقم (6) الواجهة الرئيسة للمبنى السكني

2- النموذج 2 **A** .

نموذج برجي4 شقق و بمساحة 80 م^2 للشقة ، و الارتفاع 10 طوابق تضم كل شقة غرفتين للنـــوم، ولكـــن مساحة التراسات صغيرة جدا" ، و لكن المسقط لا يخلو من المرونة و التخلخل مع المحيط مما يسمح بالاندماج مع الحدائق المحيطة و يمكن من التهوية و الإضاءة الجيدين للمسقط .

الشكل رقم (6) مسقط الطابق الأرضي

الشكل رقم (7) الواجهة الرئيسة للمبنى السكني

بمقارنة هذين النموذجين مع الشروط التي وضعت في متطلبات الدراسة على المستويات السبعة المذكورة سابقا" نجد ما يلي :

مستويات الدراسة	اجتماعي	وظيفي	بيئي	اقتصادي	وجداني	بصري
النسبة المحققة للنموذج المدروس	% 75	% 85	% 75	% 90	% 70	% 65

نلاحظ ارتفاع النسب بشكل عام و خاصة على المستوى الاقتصادي و الوظيفي، و هذه سمة شبه عامة في المساكن المعاصرة، و تبقى هناك بعض المشاكل على المستويات الأخرى وأكبرها تأثيرا" هي ناحية الاندماج مع الطبيعة التي نسعى إليها بشكل رئيس في هذا البحث، و التي تشترك في المستويات كلها حيث إنها حالة بصرية و بيئية ووجدانية أيضا"، و في هذا السياق يجب التركيز على دور الطبيعة الكبير في تحقيق التكامل بين هذه المستويات جميعها .

الاستنتاجات و التوصيات :

لقد فقدت العمارة الساحلية المعاصرة هويتها المتوسطية القديمة التي اشتهرت بها دول حوض البحر المتوسط، و نجم عن ذلك الخلل و الاضطراب على المستوى الاجتماعي و الإنساني و البيئي، و عدم الانسجام و التناغم مع التطور الحالي وضعف الإمكانية لتلبية الاحتياجات المتغيرة للإنسان ؛ لذلك و لتحقيق عمارة ساحلية متزنة وصحيحة، وعلى المعماري اليوم الاستفادة من إيجابيات العمارة المتوسطية و إعادة توظيفها بما يتناسب ومتطلبات الحياة المعاصرة من حيث الاستلهام من بعض المفردات المعمارية التاريخية التي تعيد إلينا روح التراث، و استخدام مواد البناء المناسبة، و العلاقات الفراغية الصحيحة و المنسجمة مع المباني و الطبيعة المحيطة، إضافة إلى احترام الاعتبارات التالية :

– أن تتكيف عناصر التصميم مع عناصر البيئة المحيطة و استمرار النظام البيئي الذي يعتمد على الطبيعة البكر .

– أن توظف التقنيات الحديثة بما يحقق التجانس و التوازن الطبيعي مثل الاهتمام بالفراغ الداخلي لتحقيق الوحدة الاجتماعية و توفير عناصر الأمان و الراحة المعيشية و أن تحقق البروزات الأهداف الوظيفية و الجمالية منها .

– أن تكون النباتات و الأشجار هي السمة الأساسية لتجميل الفراغات و واجهات البناء ، و تفعيل مفهوم العمارة الخضراء .

– الملاءمة، و بساطة التشكيل، و احترام التقاليد و التراث، و محاولة إعادة خلق الأشكال العربية القديمة في عمارة اليوم بصورة تتماشى مع البيئة الساحلية و تنسجم مع الحلول الجديدة ، واستخلاص الدروس من العمارة المحلية .

– احترام المقياس الإنساني و الحوار مع المصمم و هو ما يعكس المشاركة الجماعية– و الإحساس بالنسبة و التناسب بين الذات الإنسانية و البيئة الطبيعية المحيطة Human Scale.

– و أخيرا" التأكيد على ضرورة نشر الوعي و الثقافة المعمارية وتنمية الذوق و الحس العام و المعرفة الجيدة بقيمة التراث الفكرية وتوظيف وسائل الإعلام لهذه الغاية و مشاركة كافة القوى الفاعلة في المجتمع و الجهات الإدارية المسؤولة عن القوانين و الضوابط لأنظمة البناء في التفكير الجاد و المنطقي لتسهيل الحلول المعمارية العصرية بما يتناسب و المتطلبات الأساسية و يحترم الطابع التاريخي و الأثري و طبيعة الساحل السوري الخضراء خاصة؛ لأنه واجهة حضارية و مقصد سياحي مهمّ مما يخدم ما يسمى بالسياحة البيئية Eco –Tourism بحيث يتفاعل السكن الساحلي بشكل متكامل مع الطبيعة المحيطة .

المراجع :

1- بهنسي، د. عفيف ،2004- *خطاب الأصالة في الفن و العمارة* . الطبعة الأولى، دار الشرق للنشر، 264.

2- بهنسي، د. عفيف – *من الحداثة إلى ما بعد الحداثة في الفن* – مقال عن الأنترنيت ، 2007/5/6.

3- السواط، د. علي – مقال عن الأنترنيت، 2008/1/9.

4- لفاح، د. ماهر – *ندوة التنمية المستدامة للساحل السوري* – جامعة تشرين 27-2005/9/29 .

5- العدد 4- المجلد 34 ابريل – 2006 – مجلة عالم الفكر تصدر عن المجلس الأدبي للثقافة و الفنون و الآداب – الكويت .

6- سلامة، م. حسام – رسالة دكتوراة – *العمارة الواعية – استجابة التشكيل للمؤثرات البيئية* – 2001- جامعة القاهرة .

7- الدبس، ميساء – *أنماط و بدائل تصميمية لتلبية متطلبات السكن البيئي الساحلي في سوريا* – رسالة ماجستير – 2006- جامعة حلب .

References:

[1] Safwan AlAssaf, *Towards Better Climatic Responses in Architectural and Urban Design*, College of Architecture, Al Baath University,2002.

[2] Safwan AlAssaf, *An Intelligent Spatial Data Base for Strategic Housing Management*, International Regional and Planning Studies / Middle East Forum, 1996, 41-61.

[3] Safwan AlAssaf, *Methods of Predicting Housing Requirements for Local Housing Policy in Syria* , Beirut Arab University Publication, 1995,137-155.

[4] Safwan AlAssaf, *A Conceptual Model for housing Planning Information System*, Arab Cities Organization (G.C.A.C.O) 10th, Dubai 3, 1994, 2475-2524.

[5] Safwan AlAssaf, *Data and Information requirements for Housing Planning,* Arab Cities Organization (G.C.A.C.O) 10th, Dubai 3,1994, 2445-2473.

[6] Alshaikh R, said N, Abrahim T. Archetype and time, place Language in architecture. Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series; 2015;37: 485–503.